علاقة التربية بالعلوم الأخرى

لم تعد التربية كما كانت في إطارها الضيق عملية استيعاب معارف وخبرات محددة، أو اكتساب مهارات معية فحسب، وإنّما أصبحت عملية متعددة الجوانب والأغراض، تستهدف إحداث تغيير شامل في بنية المجتمع، وذلك من خلال إحداث التغيير الإيجابي في سلوكات الأفراد، وبلورة أفكارهم واتجاهاتهم في إطار محدد السمات والوسائل، يتضمن العناية بتربية الجوانب المختلفة التي تشكّل شخصية الفرد، المتوازنة والمتكاملة.

وقد استوجبت هذه المهمة الشمولية للتربية الحديثة، أن تستفيد من العلوم المختلفة التي تدرس طبيعة الكائن البشري الجسدية والنفسية والاجتماعية والعقلية والأخلاقية، والمراحل النمائية التي يمر بها، وتأخذ في حساباتها خصائص كلّ مرحلة، عندما تضع المناهج التربوية وطرائقها ووسائلها، بحيث توفّر البيئة التربوية السليمة التي تحقّق الأهداف التي تسعى إليها.

1. علاقة التربية بعلم النفس

إن إعداد الإنسان للتكيف مع الحياة التي تنتظره، من المهام الأساسية للتربية، وهذا يتطلّب منها الاعتماد على علم النفس بوجه عام، وعلى علم النفس التربوي بوجه خاص.فما هي العلاقة بين علم النفس وعلم النفس التربوي ؟ وكيف تستفيد التربية من هذه العلاقة ؟

علم النفس

يعرف بأنّه: "العلم الذي يدرس العقل البشري والطبيعة البشرية، والسلوك الناتج عنهما.. أي أنّه مجموعة الحقائق التي يتم الحصول عليها من وجهة النظر النفسية ". (فرايز، 1968، 33) لدراسة شخصية الإنسان من جوانبها المختلفة بهدف فهم سلوكاته وتفسيرها.

علم النفس التربوي

يعرف بأنّه: " العلم التطبيقي الصرف، والذي تتوقّف مهمته على استخلاص أهم كشوف علم النفس العام، ثم تطبيقها في الميدان التربوي/المدرسي. " وبذلك يكون علم النفس التربوي ناتج عن دمج أو (تزاوجذا) التربية بعلم النفس في إطار إعداد الكائن البشري للحياة، انطلاقاً من أهداف مشتركة وانتهاء بنتائج مشتركة.

مثال ذلك: تستطيع التربية استناداً إلى علم نفس النمو، أن تحدد التعلّم المناسب (المنهاج والطرائق والأساليب والوسائل) لأبناء كلّ مرحلة من المراحل العمرية، بحيث لا تهمل أية فرصة من فرص النمو، ولا يكلّف المتعلّمون- في المقابل- بما يفوق استعداداتهم وقدراتهم الجسدية والعقلية.

وتشكّل المدرسة المختبر الصحي والمجال الخصب لاختبار مبادىء علم النفس التربوي ونظرياته وتقويم نتائجها. وعلم النفس التربوي من جهته، ذو تأثير كبير في توجيه المدرسة وتأدية وظائفها، بوصفه المنسق والمنظّم لنشاطاتها المختلفة.. ولذلك فإن علم النفس التربوي يؤدي الوظيفتين التاليتين:

1- تكوين المعرفة العلمية الخاصة بالتعلّم والمتعلمين، وتنظيمها بشكل منهجي يضع الأسس والمبادئ ذات الصلة بعملية التعليم والتعلّم.. وهذا ما يسمى بالجانب **النظري** من علم النفس التربوي.

2- صوغ المعارف العلمية التي كونها بأشكال مناسبة، تمكّن العاملين في الميدان التربوي من الاستفادة منها وتطبيقها بفاعلية جيدة، وإجراء التعديلات لتحقيق أفضل النتائج..وهذا ما يسمى بالجانب **التطبيقي** من علم النفس التربوي.

إن الجوانب النظرية العامة للتعلّم، تدخل في ميدان علم النفس، بينما يقع التعلّم المدرسي في ميدان علم النفس التربوي، لأنّه يحدث في سياق اجتماعي معين..حيث يتسع مجاله ليشمل أموراً متعددة – كما يرى غالب مصطفى- تتركّز على:

- النمو المتكامل للمتعلّم بجوانبه الجسدية والعقلية والانفعالية والاجتماعية.
- عملية التعلّم من حيث طبيعتها وعناصرها وأساليبها، والعوامل المؤثّرة فيها.
- نظريات التعليم والتعلّم، وانعكاساتها في تنظيم العملية التربوية.
- طرائق التعليم والتعلّم، والاستراتيجيات المناسبة لكلّ موضوع تعليمي.
- عمليات القياس والتقويم، بما فيها قياس الذكاء والتحصيل الدراسي، والميول والقدرات العقلية والصحة النفسية للمتعلّم، وأثر ذلك كلّه في نمائه وتطوره.

2. علاقة التربية بعلم الأخلاق

إذا كانت للتربية وظائف تتكامل في بناء شخصية الإنسان/الفرد، فإن الوظيفة الأخلاقية تأتي في مقدمة الوظائف التربوية. فما هي الأخلاق ؟ وما دور التربية في تهذيبها وإكسابها للناشئة..؟

تعرف **الأخلاق** بأنّها: نظام تصاعدي متكامل من العواطف والسلوكات التي يرضى عنها المجتمع. وهذا يعني أن تنمية القيم الحقيقية التي تحكم سلوك الإنسان الخُلُقي، " ليست لمجرد أنماط سلوكية مقبولة، بل بقصد إنماء شخصيات أخلاقية تقدر الخير والشر.. والتي يتحدد سلوكها –في أساسه- من الداخل انطلاقاً من القيم الحقيقية التي تحكم هذا السلوك..

أما **علم الأخلاق**، فهو يسعى لتوضيح الأخلاق كمجموعة قواعد موضوعية، وكعنصر ذاتي / شخصي أيضاً.. أي أن علم الأخلاق: هو العلم الذي يبحث في ماهية القيم الأخلاقية وأبعادها النفسية والاجتماعية، وكيفية بنائها من خلال العملية التربوية.

والسؤال: ما طبيعة العلاقة بين التربية وعلم الأخلاق..؟

التربية وعلم الأخلاق مبحثان اجتماعيان، من حيث المنطلق والهدف.. ويتجلّى الترابط الوثيق بينهما، في أهم ما تسعى إليه التربية، إلا وهو تنمية الأخلاق والفضيلة. وهذا في إطار مضموناتها الأساسية إذا ما أخذنا بتعريفها اللغوي الذي يفيد بأن التربية: " هي الرعاية والتنمية والإصلاح والتهذيب..).

ولذلك، فمن غير الممكن أن نتصور علم الأخلاق من دون أن نلجأ إلى التربية." لأن الإنسان لا يولد ذا أخلاق، بل يصبح ذا أخلاق.. وأن الطريقة التي يصبح بها ذا أخلاق، تتعلّق بالتربية التي يتلقّاها.." فكلّ عمل تربوي في جوهره هو عمل أخلاقي، ما دام مقصده تنمية الفرد إلى مستويات أفضل.

ثمة قوانين موضوعية لعملية التربية الاجتماعية/ الأخلاقية، يدرسها علم التربية بالتحديد، أي أن موضوع التربية أوسع من علم الأخلاق ؛ لأن علم التربية لا يشتغل بالمسائل الأخلاقية فحسب، بل بالجوانب الأخرى التي تشملها التربية الاجتماعية والتي تنطوي على قيم أخلاقية.

3. علاقة التربية بعلم الاجتماع

ثمة علاقة حميمة بين التربية وعلم الاجتماع، حيث تميل التربية إلى التنوع من أجل المجتمع وبوساطته. فالتربية الحقيقية تعبر عن طبيعة المجتمع وتطلّعاته، فتختار خبرات وقيم وفق معايير خاصة واتجاهات محددة، تحقّق أهداف المجتمع لأن أهدافها تشتقّ من أهداف المجتمع، وبالتالي فإن محتوى المناهج التربوية يجب أن يدور حول ظروف المجتمع وتطلّعاته.. ولذلك يقول عالم الاجتماع إميل دوركهايم:" إن الإنسان الذي تود التربية أن تحقّقه فينا، ليس هو الإنسان كما خلقته الطبيعة، بل هو الإنسان كما يريده المجتمع أن يكون.." وهذا يؤكّد اجتماعية التربية من حيث المنطلق والهدف.

إن المهام الأساسية لعلم الاجتماع، تكمن في دراسة الأنظمة المؤسساتية التربوية، ومدى علاقتها بالأنظمة الاجتماعية الأخرى في إطار التبادل والتكامل، باعتبار أن هذه الأنظمة أنساقاً اجتماعية فرعية تشكّل النسق الاجتماعي العام، الذي يعبر عن بنية هذا المجتمع.

فكثير من المسائل التربوية تعكس تأثير المجتمع بصورة مباشرة، ولا سيما المسائل السوسيولوجية الاجتماعية في المجال التربوي، والتأثير المقابل للتربية في التكوين الاجتماعي للفرد، وما يتطلّب ذلك من الجهود المشتركة بين علمي التربية والاجتماع، بحيث يؤديان إلى اتجاه اجتماعي/تربوي جديد، له طرائقه الخاصة ومنهجه المتميز في البحث. وهذا ما يؤكّد أن موضوع علم الاجتماع التربوي من أهم الموضوعات المشتركة بين العلمين: علم التربية وعلم الاجتماع والذي يشكّل صلة الوصل المتينة بينهما.

علم الاجتماع التربوي

يعرف بأنّه: " الذي ينظر إلى المدرسة والمؤسسات التربوية الأخرى كمؤسسات اجتماعية داخل البناء الاجتماعي العام، تؤدي دورها الوظيفي داخله وتسهم بدور إيجابي في تقدمه وتطوره.. وهو العلم الذي يهدف إلى الكشف عن العلاقات بين العمليات التربوية، وإبراز العملية التربوية كظاهرة اجتماعية، وبيان وظيفتها في المجتمع. .

إنّه يدرس الأنساق التربوية العامة (النظام التربوي) وتحليلها من حيث الأدوار البنائية، الداخلية والخارجية، وما تتضمنه تنظيماتها الاجتماعية من عمليات تفاعل بين مكوناتها المحددة للجماعة التربوية، على مستوى الأنساق التربوية العامة، (النظام التربوي) ومستوى الأنساق التربوية الفرعية (المدرسة- الجامعة) ومستوى الأنساق المصغّرة (غرفة الصف-

عملية التعلّم)، وذلك بغية فهم الوظائف المرتبطة بتلك الأنساق، وما بينها وبين نظم المجتمع من تساند واعتماد وظيفي متبادل. وذلك من خلال دراسة التفاعل بين الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد داخل هذه المؤسسة.

إن علم الاجتماع التربوي لا يدرس الأنظمة الاجتماعية بمعزل عن الأفراد، وإنّما يدرس الشخص في تفاعله مع الآخر وتعامله في إطار تربوي، كما يعنى بدراسة التنظيمات الاجتماعية وأبعادها في العمل التربوي. أي أن علم الاجتماع التربوي يدرس العملية التربوية ويعالج مشكلاتها، بوصفها ظاهرة اجتماعية مميزة داخل النسق الاجتماعي الكلّي.

4. علاقة التربية بعلم الأحياء

يعرف علم الأحياء استناداً إلى وظيفته، بأنّه: العلم الذي يدرس الحياة البشرية وتطور الأفراد، كما يدرس صفاتهم ونماذجهم لتحديد الفروقات الجسدية والعقلية والاجتماعية فيما بينهم.

أما التربية فتهتم بتنمية الكائن البشري، وتزويده بالخبرات والمهارات اللازمة لكي يتمكّن من العيش في مجتمعه، ويمارس حياته بتفاعل إيجابي مع أبناء جنسه، ولذلك فلا بد أن تستند، في بعض جوانبها، إلى علم الأحياء كما تستند إلى علم النفس وعلم الاجتماع.

فالعلمان إذن لهما صلة وثيقة بالإنسان، باعتبار أن علم الأحياء يدرس الكائنات الحية من أوجه نشاطاتها المختلفة، بينما **تستند التربية** (أهدافها وبرامجها وطرائقها) إلى القوانين الخاصة بنمو الكائن البشري ومتطلّباته الجسدية والنفسية والاجتماعية.(راجح، 1970، 7)، ولا سيما من الولادة وحتى سن النضج والبلوغ، وبنيته النفسية لتحديد الشروط التي يمكن أن يتم فيها العمل التربوي بفاعلية ويؤدي مهامه بكفاية عالية.

نستنتج مما تقدم كلّه، أن التربية تستند في عملها، إلى العلوم الاجتماعية /الإنسانية/ الأساسية، وتساندها في عملية تبادلية/تفاعلية، وغايتها تكوين الإنسان المتكامل الشخصية، الإنسان القادر على تحقيق التكيف الإيجابي بين محيطه الذاتي/النفسي ومحيطه الاجتماعي.

التقويم النهائي

عزيزي الطالب

بعد دراستك لهذه الوحدة، واستيعاب مضموناتها المعرفية والخبراتية، حاول أن تجيب عن بنود الاختبار التالية، لتقوم مدى فاعلية دراستك..

1. عرف كلاّ من: التربية – علم النفس- علم الأخلاق-علم الاجتماع-علم الأحياء
2. علّل كلاّ مما يلي:

1/2-علم النفس التربوي علم تطبيقي صرف

2/2-كل عمل تربوي هو عمل أخلاقي

3/2-التربية اجتماعية المنطلق والهدف

4/2-صلة التربية بعلم الأحياء

3. اشرح كلاّ مما يلي:

1/3-أهم ما تسعى إليه التربية، هو تنمية الأخلاق والفضيلة..

2/3-وظيفة علم الاجتماع التربوي.

4. أكمل العبارات التالية بالكلمات المناسبة:

1/4-يقال بالتعبير الاقتصادي: إذا كان علم النفس.... فإن التربية هي....

2/4-الأخلاق نظام.... متكامل من....و..... يرضى عنها.....

4/4-تعد المدرسة والجامعة من..... التربوية..... ويعد.... من الأنساق.....